مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 10/ العدد: 01- جانفي (2024)

تاريخ الاستلام: 2023/09/02 تاريخ القبول: 2024/01/19 تاريخ النشر: 2024/01/21

البناء اللغوي في اللغز الشّعبي الجزائري

✍ فاتح عياد
Fateh.turk@hotmail.fr
جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة /الجزائر

Linguistic construction in Algerian people's puzzle

✍ Faith Ayad
Fateh.turk@hotmail.fr
University of 20 August 1955-Skikda / Algeria

مُلخّص البحث

تُعتبر الألغاز الشّعبيّة إحدى أشكال الأدب الشّعبي، وهي تحمل في طيّاتها مضامين مختلفة، لها صلة وثيقة بالشّعب، وواقعه، وانشغالاته، فهي تعبّر عن مظاهر الحياة السّائدة في المجتمع.

تهدف هذه الدّراسة إلى الكشف عن الخصائص اللغويّة والتّركيبيّة لبنية اللغز الشّعبي الجزائري، وما له من دلالات رمزيّة، بالإضافة إلى الدّور الوظيفي الذي يؤدّيه اللغز الشّعبي، سواء من حيث القالب اللّغوي أو المضمون.

وانتهى البحث إلى مجموعة من النّتائج، نذكر منها أنّ الألغاز الشعبيّة الجزائريّة تُصاغ في قوالب لغويّة مختلفة من حيث التّراكيب أو الحجم. وهي تقوم على تجانس الحروف، واعتماد السجع في الغالب، فاللغز الشّعبي عمل إبداعي لا يقلّ أهميّة عن باقي الفنون الشعبيّة الأخرى.

الكلمات المفتاحية: البنية، اللغة، التركيب، اللغز الشّعبي، الجزائر.

ABSTRACT:

Folk puzzles are a form of folk literature, and they carry various contents, which are closely related to the people, their realities and concerns, as they reflect the manifestations of life in society.

This study aims to reveal the linguistic and synthetic characteristics of the Algerian folk puzzle structure, its symbolic connotations, as well as the functional role played by the folk puzzle, both in terms of linguistic template and content.

The research concluded with a range of results, including the fact that Algerian folk puzzles are formulated in different language templates in terms of composition or size. It is based on the homogenization of letters, and often the adoption of assonance, the folk puzzle is a creative work that is no less important than other folk arts.

Key words : structure; language; installation; popular puzzle; Algeria.

1. مقدمة:

يعدّ اللغز الشّعبي جنسًا أدبيًا قائمًا على بناءٍ فنّي محكمٍ، وله قالب شكلي يعكس فحواه، وإن كانت الضّوابط النّحويّة ملغاة في اللغز الشّعبي الجزائري باعتباره يُنطق بلغة عامّة الشّعب، ولهجتهم العاميّة، إلاّ أنّ له نظامًا خاصًّا يحتكم إليه، سواء من حيث الصيغة اللغويّة أو التّركيبيّة، بالإضافة إلى ما يحمله من طابع فنّي جمالي يستهوي المتلقّي من حيث براعة الأداء وبلاغة التّعبير، والألغاز الشّعبية مستوحاة من روح الشّعب ومقتضياته، وهي مظهر من مظاهر الثّقافة الشّعبيّة، تصوّر لنا البيئة الاجتماعية ما تتضمّنه من مظاهر حياتيّة متنوّعة.

ولا يختلف اللغز الشعبي الجزائري عن اللغز الشّعبي في باقي البلدان العربيّة، من حيث الهدف والمضمون، إذ كل الألغاز الشعبيّة منبعها واحد هو عامّة الشّعب، وتُؤدَّى بغية إعمال العقل وحثّه على التّفكير لإيجاد الحل المضمر، إلاّ أن اللغز الشّعبي في الجزائر يختلف من حيث خصائصه اللغويّة والتركيبيّة عن باقي البلدان، ذلك أن لكلّ بلد لغة شعبيّة عاميّة خاصّة بها، فتختلف التراكيب بنسب متفاوتة بحسب كلّ منطقة.

ومن هنا جاءت الإشكالية كالآتي:

- ما هي ميمزات اللغز الشّعبي الجزائري من حيث بنائه اللغوي؟

وقد كانت الفرضيّة على النّحو الآتي:

للغز الشّعبي الجزائري جملة من الخصائص اللغوية والتّركيبيّة، والتي تميّزه عن غيره من أجناس الأدب الشّعبي، وهي تحتكم، عمومًا، على انتقاء الألفاظ والجمل، وصياغتها في قالب فنّي إيقاعي.

وبالنّسبة لأهداف البحث، فهي كالآتي:

- إبراز القيمة الفنيّة للغز الشّعبي الجزائري من خلال الكشف عن بنائه اللغوي.

- إثبات وجود ظواهر لغويّة وإيقاعيّة في اللغز الشعبي الجزائري.

- الكشف عن أنواع الألغاز الشّعبية الجزائريّة من حيث البنية والحجم والدّلالة اللغويّة.

أمّا عن منهجيّة البحث، فقد بدأنا بمقدّمة مهّدنا فيها للموضوع، وطرحنا فيها الإشكاليّة، وصُغنا الفرضيّة، والأهداف، ثمّ قدّمنا بعض المفاهيم حول المصطلحات كالبنية واللغز الشّعبي، ثمّ عرضنا لبّ الموضوع تحت عنوان الخصائص الفنيّة واللغوية في اللغز الشّعبي الجزائري، والذي تضمّن مجموعة من العناصر الجزئيّة، وختمنا في الأخير بخاتمة ضمنّاها نتائج البحث، والتّوصيات المقترحة.

2. تعريف البنية :

1.2 البنية لغة:

اكتسبت لفظة البنية في المعاجم العربيّة مدلولات كثيرة، نذكر منها ما جاء في لسان العرب لابن منظور، حيث يقول: "البِنية والبُنية ما بنيتَه، وهو البِنى والبُنى، وأنشد الفارسي عن أبي الحسن:

أولئِكَ قَومٌ إنْ بَنَوْا أحسَنُوا البُنَى، وإنْ عاهَدُوا أوْفَوا، وإنْ عَقَدُوا شدُّوا

يقال بِنية وهي مثل رِشوَة وَرِشَا، كأنّ البِنيَة الهيئة التي بُنِيَ عليها مثل المِشيَة والرّكبة، وبنى فلان بيتًا بناءً وبِنًى.. والبنيان الحائط"[1]

كما ورد في المعجم نفسه: "أبْنَيْتُه بيتًا أي أعطيته ما يبني بيتًا"[2] وجاء فيه أيضًا " ...البواني في الأصل أضلاع الصّدر، وقيل الأكتاف والقوائم..."[3]

وجاء في معجم الوسيط: "البِنية: ما بُنِيَ. (ج) بُنًى، وهيئة البناء، ومنه بِنية الكلمة أي صيغتها، وفلان صحيح البنية...البنُيّة: بُنيّة الطّريق: طريق صغير يتشعّب من الجادّة"[4]

وقد ذُكرت البنية من حيث اشتقاق الكلمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[5] أي يقاتلون في سبيل الله صفًّا مصطفًّا، كأنّهم في اصطفافهم هنالك حيطان مبنية قد رصّ، فأحكِمَ وأتقِنَ.

ومن هنا فإنّ كلمة بنية وما يتّصل بها من مشتقّات بنى بجميع مدلولاتها الحسيّة والمعنويّة لا تكاد تخرج عن هياكل الشّيء ومكوّنه أو هيأته.

2.2 البنية اصطلاحا:

ظهرت البنية كمصطلح عند الغرب، فهي تُشتق "في اللغات الأوربيّة من الأصل اللاتيني **stuere** الذي يعني البناء أو الطّريقة التي يقام بها مبنى ما، ثمّ امتدّ مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنيّة المعماريّة، وبما يؤدّي إليه من جمال تشكيلي، وتنصّ المعاجم الأوربيّة على أنّ فن المعمار يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السّابع عشر."[6]

ولا يبعد هذا كثيرا عن أصل الكلمة في الاستخدام العربي القديم للدّلالة على التّشييد والبناء والتّركيب، كما هو وارد في نص الكتاب المجيد.

والجدير بالذّكر أن البنية كمصطلح هي "كلٌّ مكوّنٌ من ظواهر متماسكة، يتوقّف كلّ منها على ما عداه، ولا يمكنه أن يكون ما هو إلاّ بفضل علاقته بما عداه."[7]

3. تعريف اللغز:

1.3 اللغز لغة:

إنّ اللغز في أصل اللغة "حفرة يحفرها اليربوع في جحره تحت الأرض وقيل هو جحر الضّب والفأر بين القاصعاء والنّافقاء، سميّ بذلك لأنّ هذه الدّواب تحفره مستقيمًا إلى الأسفل، ثمّ تعدل عن يمينه وشماله عروضًا تعترضها تعمية ليخفي مكانه بذلك..."[8]

يقول قدامة في كتابه نقد الشّعر: "أمّا اللغز فأنّه من ألغز اليربوع ولغز إذا حفر لنفسه مستقيمًا، ثمّ أخذ يمنة ويسرة يعمى بذلك على طالبه، وهو قول استعمل في اللفظ المتشابه طلبًا للمعاياة والمحاجاة.

وأراد ابن الأثير قريبًا من هذا ثمّ أضاف: وقيل –يعني في الألغاز- جمع لغز بفتح اللام وهو ميلك بالشّيء عن وجهه"[9]

نلاحظ أنّ هذا المعنى المادّي الحقيقي للغز ينقل إلينا المعنى المجازي، وهو التّعمية في الكلام، فيقال: "ألغز في كلامه، إذا عمي مراده" [10]

2.3 اللغز اصطلاحا:

إنّ "الألغاز وما يجري مجراها لا تعدو أن تكون ضربًا في التّعبير، عماده اللّقانة والفهم وحسن التّأتي والفطنة من القائل، ومن المستمع جميعًا، وتلك نفحات ذهنيّة كان للعقل العربي فيها منذ نشأته أوفر نصيب، واشتقاق اللغز في اللغة يشير إلى قِدم هذه التّسمية أو قِدم مدلولها على الأقل إن لم يكن التثبّت من إطلاقها على هذا الفن نفسه منذ العصر الجاهلي"[11]

يبدو من خلال هذا التّعريف ما للغز من صلة بالذّكاء والعقل والفطنة.

3.3 اللغز الشّعبي:

إنّ "اللغز شكل أدبي شعبي قديم قِدم الأسطورة والحكاية الخرافيّة، كما أنّه يساويهما في الانتشار. فليس اللغز إذن مجرّد كلمات محيّرة تطرح للسّؤال عن معناها بين ثلل الأصحاب في الأمسيات الجميلة. ومن ثمّ فإنّه يتحتّم علينا أن نبحثه بوصفه عملا أدبيًّا شعبيًّا أصيلا"[12] مثله مثل غيره من الأجناس الأدبيّة الأخرى.

وقد ارتبطت الألغاز الشّعبيّة قديمًا بمواسم معيّنة لدى القبائل، تكتنفها طقوس وعادات غريبة، كانت الألغاز فيها عوضًا عن الكلمات المباشرة، فهناك بعض القبائل تطرح الألغاز قبل أن يتمّ تكفين الميّت، في اعتقادهم أنّها وسيلة لخداع الرّوح حتّى لا تهرب، كما اعتمدت في مناسبات يُخشى فيها من وقوع

أزمة، كأن يتوقّف الزّرع عن النّمو، وما له علاقة بمصير الشّعب، ومن ضمن تلك المناسبات: سقوط الأمطار، نمو الزّرع، الختان، الزّواج، والدّفن، فجميعها كانت تطرح فيها الألغاز الشّعبيّة.

لعلّ اعتماد اللغز في مثل هذه المناسبات يعود إلى ما يشاركهم فيه من ظاهرة الغموض، فإنّ توصّل السّامع إلى حل اللغز وفك شفرته تمكّن من التأثير في القوى المجهولة التي تتصرّف في حل المشكلات الغامضة[13] ذلك "بأنّ البدائي في مثل هذه المناسبات التي كانت تبدو له لغزًا يودّ لو تكشف له. كان في حاجة إلى سحر مشارك لشعوره"[14] غير أنّ الألغاز الشّعبية، على مرّ العصور، لم تبق منحصرة في المناسبات، ولم تبق خاضعة لطقوس القبائل وعاداتها فحسب، بل انطلقت في مجالات أوسع، ليرتادها النّاس في حلقات الأنس والسّمر، ومسابقات المدارس والمراكز الثقافية... إلخ.

4. اللغة المعتمدة في الألغاز الشّعبية:

تدلّ اللغة على طابعها الشّعبي، فهي لغة تخلو من التّعقيد، ذات عبارات سهلة النطق ومفهومة المعنى، لأنّها نابعة من الحياة اليوميّة لدى الشّعب، وصادرة عن تجاربهم اليوميّة، فاللغة المستعملة في اللغز الشّعبي هي اللهجة العاميّة، لغة الحياة اليومية المعتمدة بين أفراد الشعب بمختلف فئاته، وتعدّد مستوياته، ومن المعروف أنّها لا تحتكم إلى قواعد ولا لضوابط لغويّة، وهذا ما ساعد الألغاز على سهولة التداول والانتشار بين النّاس، لأنّ العاميّة هي لغة البيت والشّارع، والمجتمع، لا تنبع عن طبقة معيّنة ولا هيئة خاصّة.

وبما أنّ اللغز الشّعبي يصدر بالعاميّة لذا فهو لا يحتكم إلى قاعدة إعرابية، أمّا الصّيغة اللغوية للغز فهي تختلف بحسب كل منطقة، أي أنّ هناك بعض التغييرات التي تطرأ على مستوى اللفظ أو الجملة، حيث يتم انتقاء الكلمات بما يتناسب والبيئة اللغويّة للمنطقة، وعليه فإنّ الشكل اللغوي للألغاز الشّعبيّة غير ثابت، على عكس الفصيح.

ويجدر بالإشارة أنّ لغة اللغز الشّعبي قد تكون نثرًا، كاللغز القائل: "عْلَى بَقْرَتْنَا الزَّرْقَا، كُلْ جْبَلْ تَخْطَفْ مَنُّو وَرْقَة"، وقد تكون شعرا، مثل اللغز القائل:

يَا جْمَـاعَة يَا مَلْمُوسَة يَاللِي تَسْمعُو فِي المَيْدَانْ

عَاللِي يَمْشِي عْلَى رَاسُو نَـاطَقْ يَتْكَلَّمْ بْلَا لْسَـانْ

5. الخصائص الفنيّة واللغويّة للمثل الشّعبي:

للألغاز الشّعبيّة جملة من الخصائص الفنيّة واللغويّة، نذكر منها ما يأتي:

1.5 الألفاظ:

تحدّث عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز عن الألفاظ، فنصّ على أنّها لا تتفاضل "من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلمة مفردة، وإنّما تثبت لها الفضيلة، وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها"[15]

أي أنّ اللفظة لا تكتسب قيمتها الدّلالية إلا إذا اقترنت مع غيرها من الكلمات، إشارة إلى ضرورة التّركيب لفهم المعاني، وإن تحدّثنا عن الألفاظ من حيث قوّتها في اللغز الشّعبي، فيجدر بنا القول أنّ كلماته قليلة لكنّها تحمل في طيّاتها معنى أو أكثر يحيل إليه اللغز عبر استخدام جملة من الألفاظ، فهي قوالب لغويّة للمعاني المضمرة، والتي يراد الكشف عنها من خلال استثارة الذّهن، وقياس درجة الذّكاء، فاللغز القائل: "اسْمُو بَالجِّيمْ وجَابْ القَافْ مْعَاهْ، حَطُّو عَنْد المِيمْ وَمْشَى وخَلَّاهْ"

فقائل اللغز يحاول استثارة السّامع، ورسم ملامح الهوية الدّينية لديه من خلال إخباره ببعض الحقائق الدّينية، والقصص التي جرت أيام الدّعوة الإسلاميّة، فينقل السّامع من المعنى القريب إلى المعنى البعيد انطلاقا من اعتماده حروفا يُكنّي بها عن اسم المكنّى عنه في اللغز، فهنا اعتمد حرف الجيم إشارة إلى الملك جبريل عليه السّلام، فهو من أحضر القاف إشارة إلى القرآن الكريم، إلى الميم إشارة إلى محمّد صلى الله عليه وسلّم. فالحروف، هنا، بمثابة مفاتيح لن يحسن استعمالها إلاّ من فهم المعنى واستوحى الدّلالة، ولولا انتقاء الألفاظ المناسبة للمعنى المراد، لما تمكّن أحد من حل اللغز.، وسيظل مبهمًا.

2.5 الإيقاع الصّوتي:

يستمدّ اللغز الشّعبي من الإيقاع سهولة الذّيوع والحفظ، ذلك أنّ الوقع الموسيقي من شأنه أن يجذب آذان السّامعين، ويمكّنهم من الحفظ ، ويعدّ الإيقاع من أبرز العناصر المكوّنة للألغاز الشّعبية الجزائرية، حيث يحرص الذّوق العام على انسجام أصوات اللغز الشّعبي بناء على انتقاء الألفاظ المناسبة

وإن كان "الوزن والإيقاع في الشّعر من شأنه أن يعين على عرض الصّور اللغويّة المتماسكة، عرضًا يستمر مع الحركة النفسية"[16]، فإنّ الوزن والإيقاع في اللغز الشّعبي من شأنه أن يصنع الشّكل اللغوي المقفل، فما إن تنتهي العبارتان المتحدتان على وجه التّقريب في الوزن والإيقاع حتّى ينتهي اللغز، مثل: "اسْمهَا بَالفَا، وَالفَا مَافِيهَاشْ، كُونْ تَخْطَي هِيَ، الحَاجَة مَا تَتْقْضَاشْ"، وكذا في اللغز القائل: ""نْشُوفُو ومَا نَلْبْسُوشْ ونَلْبسُو ومَا نْشُوفُوشْ"، ففي هذين اللغزين نلحظ تتابع الحروف وتجانس الكلمات، ويعتبر هذا جزءًا من قوام اللغز الشّعبي وبنائه التّركيبي، على أنّها تخص فئة من الألغاز لا كلّها؛ فهناك ألغاز لا تخضع في صياغتها التّركيبيّة لعنصر الإيقاع، مثل: "ها هي ها هي وماكانش"،...إلخ

3.5 الرّمزية:

تكمن رمزيّة اللغز الشّعبي الجزائري في ما يستخدمه قائل اللغز من ألفاظ ذات دلالة عميقة، إذ يختفي المعنى المراد وراء الكلمات وألوان البيان، كالاستعارة، والكناية، والتّورية، والمجاز، والتّشبيه، بغية إعمال عقل المتلقّي، وإثارة رغبته في التّفكير العميق لإيجاد الحل المناسب، والذي قد يدركه من خلال تراكيب اللغز، من حيث ألفاظه، وعقد وجه المقارنة بين معانيها في تشابهها أو اختلافها، أو ربطها معًا وصولا إلى فك الشّيفرة.

من خلال الرّمزية التي يقوم عليها اللغز الشّعبي، يكون هذا الأخير بعيدًا عن متناول الجميع، أي أنّه مخصّص فقط للأذكياء، وأصحاب البديهة السّريعة، ذلك أنّ فك شيفرات اللغز ليس بالأمر الهيّن أو المتاح، فأي لفظ في اللغز له معانٍ وتأويلات كثيرة، وعلى المتلقّي التّفكير بعمق ليستخلص المعنى المراد.

وعليه، فإنّ عمليّة البحث عن الحل ممتعة لما تحمله من تشويق وإثارة للذّهن، "ومعاناة الوصول إليها تكون في النّفس أحلى، وبصاحبها أولى، غير أنّ بعض الألغاز تغرق في الإبهام إغراقًا لا يخلو من الشّطط، لدرجة انطماس منافذ المغزى للتّباعد الموجود بينه وبين المماثلات"[17]

4.5 التّكرار:

يفيد التكرار التأكيد، "وتكرار الكلمة أو الصّوت –خصوصًا في الثقافة الشفاهيّة حيث نشأت ظاهرة التّكرار- هذا التكرار يُحدِث نوعًا من التّأثير القوي في المتلقّي، وهو تكرار يجعل الحرف والكلمة يستقرّان في أعماقه"[18] كاللغز الشّعبي القائل: "عَلِّي اَسْمُو بَالكَافْ، وَالكَافْ حَالُو بْعِيدْ، زَادْ أَوَّلْ دَنْيَا وْعَاشْ نْهَارْ فْرِيدْ" فتكرار لفظة (الكاف) هنا تأكيد على إبراز دلالة هذه الكلمة، ودورها الرّئيسي في فك الشّيفرة، فيكون حرف الكاف هو المفتاح لحلّ هذا اللغز، فمن يكون "الكاف" هذا الذي مكانه بعيد، ولد يومًا، وعاش يومًا واحدًا، فالشيفرات اللغوية الموظّفة في اللغز تخفي من ورائها دلالات دينية، وأبعاد روحيّة، قدّمت للسّامع دلالتين، أولاهما أنّ من اسمه يبدأ بحرف الكاف بعيدا، بُعدًا قد يكون مكانيًّا أو زمانيًّا، أو كليهما، وثانيها، أنّه عاش ليوم واحد فقط، ليصل السّامع بعد إعمال عقله إلى أنّ المقصود هو كبش نبيّنا إبراهيم عليه السّلام، المهدى إليه من طرف الله تعالى، ليفتدي به عن ابنه نبيّنا اسماعيل عليه السّلام، قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[19]، فإن تأمّلنا دلالات اللغز لوجدناها تتطابق مع المقصود، فكبش نبيّنا إبراهيم عليه السّلام يبدأ بحرف الكاف، وهو بعيد فعلا لكونه نزل من السّماء إلى الأرض، ولم يعش طويلا إذ قام إبراهيم عليه السّلام بذبحه تقرّبًا لله عزّ وجل.

يمكننا القول إنّ ظاهرة التّكرار في اللغز الشّعبي الجزائري واردة بكثرة، ومردّها إبراز ما يجب التّركيز عليه من قِبَل المتلقّي ليسهل عليه حل اللغز.

6. الجملة في الأمثال الشعبية:

إنّ "الجملة هي مظهر الكلام، وهي الصّورة النّفسية للتأليف الطّبيعي، إذ يحيل بها الإنسان هذه المادّة المخلوقة في الطّبيعة، إلى معانٍ تصوّرها في نفسه، ترى النّفس هذه المادّة المصوّرة وتحسّها، على حين قد لا يراها المتكلّم الذي أهدَفَها لكلامه غرضًا لكنّه بالكلام كأنّه يراها"[20]

الجملة هي المكوّن الأساسي للألغاز، وكل لغة تستلزم نظامًا متناسقًا من الكلمات المرتّبة في جمل، يُرجى منها تحقيق الفهم والإفهام، أو التّأثير في السّامع أو الإخبار أو النّهي ولهذا يدرس علم التّركيب، ونعني بعلم التركيب (المستوى التركيبي)، نظام الجملة من حيث هي كلام مفيد، وإذا كانت اللفظة تتكوّن من مجموعة أصوات، فإنّ الجملة تتكوّن من مجموعة ألفاظ، تركّب وفق نظام معيّن، بحسب الدّلالة المقصودة من الكلام، ولهذا فعلم التركيب يدرس الوظيفة التي تؤدّيها الكلمة داخل نظام الجملة، كما يدرس العلاقات بين مختلف الكلمات المكوّنة للجملة.

لا تختلف الألغاز الشّعبية عبر مناطق القطر الجزائري من حيث تركيب جملها، فهي متشابهة في تشكيل الجملة وترتيب عناصرها (اسم، فعل، أداة، توابع..) بغض النّظر عن الاختلاف الحاصل في نطق الكلمات، والجرس الصوتي، والاختلاف الحاصل في بعض المفردات، بالإضافة إلى ما يقع من إبدال للحروف بحسب اللهجات، والتّخفيف في الحروف خاصّة الهمزة، نجد الإمالة؛ أي تحويل الحركة وإبدالها من حركة إلى أخرى، كتحويل الفتحة إلى كسرة، وجاء هذا في مثل اللغز القائل "لعُدْت قَارِي وفَهَّامْ، وتَقْرَى حْرُوفْ السّطَرْ، نَعَّتْلِي أُنْثَى خِيرْ مَنْ ألْف ذْكَرْ" فكانت الإمالة بتحويل الفتحة في (الخِير) بدل (الخَير) والغرض من ذلك؛ لكي تنسجم الأصوات عند النطق باللغز، فلا يهم قائل اللغز أن يتلفّظ باللغز ويراعي فيه سلامة الشّكل أو الحركة الإعرابية السّليمة، وإنّما يهمّه توافق الجملة مع المعنى المراد، الذي يرغب في إيصاله إلى المتلقي، بطريقة لا تخلو من الذّكاء وسرعة البديهة.

إنّ تراكيب اللغز الواحد متتابعة، متسلسلة، قد تؤدّي معنًى واحدًا فقط، فهي مبنية على أساس إعمال العقل لإدراك وجه الاشتراك بينها، مثلا "إذَا كُنْتْ قَارِي وعَرَّافْ وتَعْرَفْ حُرُوفْ الدِّينْ، سَمِّيلِي لِي زَادْ مَن الكَرْش مَرْتِينْ"

نلاحظ اعتماد هذا اللغز صيغة الأسلوب الشّرطي، وقد ربط المعرفة هنا بالاضطلاع في أمور الدّين ليكون شرطًا يمكّن المخاطَب من معرفة الحل، وبؤرة اللغز تكمن في عبارة (لي زاد من الكرش مرتين)، فمن تُراه خرج من البطن مرّتين غير نبيّنا يونس عليه السّلام؛ بطن أمّه وبطن الحوت، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ . فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ . فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[21]، فرغم اختلاف التّراكيب إلاّ أنّ بينها خيط خفي يوصلها ببعضها، ولا يمكن كشفه إلاّ من خلال حل اللغز.

في حين قد تتعدّد، أيضًا، تراكيب اللغز الواحد، في نفس المتن لكنها تحمل معان مختلفة ومتنوّعة، أي قد يجمع ثلاثة ألغاز في لغز واحد، ولكلّ واحد منها حلّه، كاللغز القائل: "خَطْ بْلَا تْرَابْ، نَوْ بْلا سْحَابْ، دَوَّارْ بْلَا كْلَاب"، فخط بلا تراب هو خط القلم، ونو (مطر) بلا سحاب هي الدّموع، ودوّار (قرية ريفيّة) بلا كلاب هي المقبرة.

7. الصيغة التركيبية للألغاز الشّعبية:

يُقصد بالصّيغة التّركيبية ارتباط البنى اللفظيّة ببعضها البعض وفق نسق معيّن، بحيث تشكّل جملة، وهي تقوم في تراكبها على ميزان صرفي مُحكم، واللغز الشّعبي عبارة عن تركيب لغوي، يختلف من حيث صياغته من لغز إلى آخر، ويمكن تحديد هذا الاختلاف من حيث التّفاوت في التّركيب؛ إذ تتفاوت الألغاز الشّعبية في تراكيبها من حيث الحجم، فمعظم الألغاز الشّعبيّة الجزائريّة ترد في جملتين، مثل "طَفْلَة أقَلْ مَنَّك، تَخْبَزْ خِيرْ مَنَّك" أي النّحلة، وكذلك : حَاجِيتَكْ، كُونْ مَا هُمْ مَا جِيتَكْ" أي القدمين.

يعدّ قِصر عبارة اللغز الشّعبي و الإيجاز فيه من أسباب بقائه متداولًا ومنتشرًا بين عامّة الشّعب، ذلك أنّه سهل الحفظ من جهة، وباعتباره نتاج طبقة شعبيّة لها نمطها معيشي وطريقة تفكيرها من جهة أخرى.

في حين وردت ألغاز شعبيّة مطوّلة تتكوّن من ثلاث جمل فما أكثر، كاللغز القائل: "عْلَى هْدِيَّة مَنْ عَنْد الرَّحْمَنْ، للرْجَالْ وَالنَّسْوَانْ، مَا يَاكُلْهَا غِيرْ مْرِيضْ بَالعَلَّة وَلاَّ خَارَجْ عَنْ المِلَّة"، وكذلك: "عْلَى الأبْيَضْ كِي الثَّلْجْ، اللِّي بَايْعُو مَسْتفَايَدْ فِيهْ، وَاللِّي شَارِيهْ مَا هُو لِيهْ، وَاللِّي لِيهْ مَا شَافُو بْعَيْنِيهْ"

وفي الغالب تكون الألغاز الطّويلة ذات إيقاع ناجم عن السّجع، فتصنع الشّكل اللغوي المقفل، فبمجرد انتهاء الوزن ينتهي اللغز، مثل: ""السَّمْرَا وَالبَيْضَا ثْلَاقَاوْ ودَارُو أمْر صْلَاحْ، خَبَّاوْ العْسَلْ فِي الصَّنْدُوقْ، وقَفْلُو عْلِيهْ ودَاوْ المَفْتَاحْ"، فالسّجع يكمن في (صلاح-مفتاح).

8. خاتمة:

ممّا سبق ذِكره يتّضح لنا ما للألغاز الشّعبية من قيمة اجتماعيّة كبيرة، فهي تعكس ثقافة الشّعوب، وتعبّر عن سلوكهم، وأخلاقهم، وعاداتهم وتقاليدهم، معتمدة في ذلك جزالة ألفاظها وكثرة وما لها من لغة رمزيّة إيحائيّة، وإنّ حاجة النّاس إليها بات أمرًا مُلحًّا، لكونها لصيقة بحياتهم، وخير معبّر عن مواقفهم، فيتّخذونها وسيلة للتّرفيه والتّسلية من جهة، ولشحذ عقولهم وتنمية قدراتهم الذّهنيّة من جهة أخرى.

وعلى الرّغم من بساطة لغتها العاميّة إلاّ أنّها ذات بنية لغويّة تزخر بالصّور الفنيّة البديعة؛ متجليّة في ما لها من إيجاز اللفظ، وبلاغة التّشبيه، والاستعارة، والكناية، وما لها من جرس موسيقي عذب

مستمد من عباراتها المسجوعة، الأمر الذي سهّل عملية حفظها وتداولها عبر الأجيال، وكذا توفّر ظاهرة التّكرار ممّا يزيد المعاني قوّة وثبوتًا.

وبعيدًا عن قواعد النّحو والصّرف فللألغاز الشعبيّة الجزائريّة بنية تركيبيّة تقوم على علاقة الكلمة وترابطها المتين مع غيرها من الكلمات، وصياغة جمل تختلف من حيث الطّول والقِصر.

وفيما يأتي جملة من النتائج المتوصّل إليها:

-الألغاز الشعبيّة تتقارب من حيث التخفيف في بعض الحروف والإمالة مع اللغة الفصيحة.

-تعتمد الألغاز الشعبيّة الجزائريّة على الإيقاع الصّوتي، الأمر الذي يسهّل عمليّة حفظها، وتداولها على الألسن.

-تأخذ الألغاز الشعبيّة الجزائريّة قوالب لغويّة مختلفة؛ من حيث التّراكيب.

-يقوم اللغز الشعبي الجزائري على تجانس الحروف، واعتماد السجع في الغالب، فهو عمل إبداعي لا يقلّ أهميّة عن باقي الفنون الشعبيّة الأخرى.

وفيما يتعلّق بالتّوصيات، فإنّنا ندعو إلى:

-ضرورة الحفاظ على اللغز الشّعبي، باعتباره إرثًا أدبيًّا ينقل شفاهة عبر الحفظة والروّاة.

-إجراء دراسات مكثفة حول الألغاز الشعبيّة الجزائريّة، وعلى جميع النواحي، سواء اللغويّة أو الفنيّة أو الموضوعيّة.

-توظيف الألغاز الشعبيّة بكثرة في لغتنا اليوميّة، ولاسيما أمام الأطفال حتّى تترسّخ في أذهانهم، فتتعوّد ألسنتهم على نطقها بالشكل الصحيح، ويوظّفونها في سياقها المناسب.

9. الهوامش:

[1]- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، (1999)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص510

[2]- المرجع نفسه، ص512

[3]- المرجع نفسه، ص512

[4]- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (2004)، مكتبة الشروق الدوليّة، ص72

[5]- سورة الصّف، الآية 4

[6]- نظرية البناء في النقد الأدبي، صلاح فضل، (1998)، دار الشروق، القاهرة، ص120

[7]- المرجع نفسه، ص121

[8]- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، يروت، ص406

[9]- الأحاجي والألغاز الأدبية، عبد الحي كمال، مطبوعات نادي الطّائف الأدبي، ص10

[10]- تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حمّاد الجوهري ،(1979) ، دار العلم للملايين، بيروت، ص405

[11]- الأحاجي والألغاز الأدبية، عبد الحي كمال، ص10

[12]- أشكال التعبير في الأدب الشّعبي، نبيلة إبراهيم،القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص154

[13]- الألغاز الشعبية في مدينة قسنطينة، رتيبة حميود، (2005/2004)، قسم اللغة العربية وآدابها، كليّة الآداب واللغات، جامعة قسنطينة،الجزائر، ص13

[14]- أشكال التعبير في الأدب الشّعبي، نبيلة إبراهيم ، ص181

[15]- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، (2012)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص23

[16]- أشكال التعبير في الأدب الشّعبي، نبيلة إبراهيم ، ص146

[17]- اللغز الشّعبي، رابح لعوبي، (مارس2013)، مجلة التواصل في اللغات والثّقافة والآداب، العدد33، ص171

[18]- التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، سعيد خضر، (1998)، دار الهدى للكتاب، كفر الشيخ، ص7

[19]- سورة الصّافات، الآية 107

[20]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، (1983)، دار الكتاب العربي، بيروت، ص236

[21]- سورة الصافات، الآيات من 139 إلى 144

10. قائمة المراجع:

- القرآن الكريم.

المؤلفات:

- الأحاجي والألغاز الأدبية، عبد الحي كمال، مطبوعات نادي الطّائف الأدبي.
- أشكال التعبير في الأدب الشّعبي، نبيلة إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، (1983)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حمّاد الجوهري ،(1979) ، دار العلم للملايين، بيروت.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، (1999)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (2004)، مكتبة الشروق الدوليّة.
- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، (2012)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
- نظرية البناء في النقد الأدبي، صلاح فضل، (1998)، دار الشروق، القاهرة.

الرسائل:

- الألغاز الشعبية في مدينة قسنطينة، رتيبة حميود، (2005/2004)، قسم اللغة العربية وآدابها، كليّة الآداب واللغات، جامعة قسنطينة، الجزائر.

المقالات:

- اللغز الشّعبي، رابح لعوبي، (مارس2013)، مجلة التواصل في اللغات والثّقافة والآداب، العدد33.
- التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، سعيد خضر، (1998)، دار الهدى للكتاب، كفر الشيخ.